أمثلة من الترجمة

Melinda Nadj Abonji
Schildkrötensalat

Suhrkamp Verlag, Berlin 2017
ISBN 978-3-518-42759-0

صفحات 7-34

ملیندا نادچي أبونچي
جندي السلحفاة

الكاتب: هبة شريف

© 2017 Suhrkamp Verlag

1

كان يقف هناك عند سور حظيرة الدجاج، ربما كان قد شرب لتوه بيضة نيئة أو أي شيء ليس له علاقة بالبيض أو بالماء أو بالحليب. لابد وأن زولتان قد شرب السماء الخالية من السحب، بزرقتها اللانهائية. كانت عيناه منتبهتين، مفتوحتين على آخرهما وسط وجهه العريض الشاحب. كان المخاط ملتصقاً بأنفه - ولم يقم بأية حركة لمسحه. كان يعرف كيف يتعامل مع الدجاج، مع القطط والخنازير. كان يتجنب الكلاب، ماعدا واحداً فقط يُدعى تانجو. كل صباح بيضة من أجل صديقه تانجو. وقف زولتان هناك عند سور حظيرة الدجاج ممسكاً ببيضة طازجة مازالت محتفظة بسخونتها. لدي شيء لك يا تانجو، شيء جميل مثل الحلم.

زولي، امسح مخاطك! وكف عن الكلام مع الكلب! صاحت أمه من الحديقة.

سأعطيك العالم كله لتأكله يا تانجو! وزولي لا يحرك ساكناً. لمع مخاطه في الشمس. ودار تانجو مثل الدرويش حول نفسه ونبح. أثار نباحه العالي حتى حبل الغسيل الممدود في الفناء. ومد زولي يده بالبيضة –بياضها يشبه لون بشرته، يشبه بياض الغسيل المنشور. إنها مسرحية كل يوم. كلب يدور حول نفسه مثل المجانين، صبي في التاسعة من عمره، يؤخر بهدوء مستحيل لحظة التقاط الكلب للبيضة، الكلب أرجله شعثاء سوداء، والصبي مغطى بالقذارة ولكنه نبيل. الشمس، يدور الكلب خلفها مرة ذات اليمين ومرة ذات الشمال.

أعطه البيضة، هيا، ماذا تنتظر؟

وقف زولي لا يتحرك، لم يرمش حتى ولا مرة واحدة. فقط ابتسامة صغيرة جداً تشكلت عند فمه، وظهرت لكيزان الذرة عيون، وصاح الدجاج وثار التراب من فرط الاثارة. انتظر زولي حتى عقره عفريت صغير متهور في بطن ساقه، وهنا ألقى زولي البيضة أخيراً عالياً في الهواء، في السماء الزرقاء، والكلب تانجو، قطع دورانه فوراً وقفز قفزة عاليةً ليلتقط البيضة – العالم الذي وقع في اللحظة التالية على الحجر منفجراً ومحدثاً صوتاً عالياً غليظاً. في المرة القادمة ستتمكن من التقاطها، بكل تأكيد ستلتقطها في المرة القادمة وهي في الهواء، قال زولي، بينما كان الكلب يلعق البيضة بنهم من فوق الأرض.
اليس كذلك يا هانا، سوف يتمكن المرة القادمة من التقاطها؟ نظر زولي ناحيتي، ولم أستطع الرد لأنني فوجئت إن زولي وجه لي الكلام، وأقبل ناحيتي بعينيه المفتوحتين على اتساعهما.

وقف قريباً جداً مني. شعرت بالدوار عندما قال، أعرف تماماً كيف يشعر كلبي عندما يلعق بلسانه البيض من فوق الأرض، بالتأكيد أعرف هذا الشعور جيدا.

زولتان. ابن العمة زوركا.

رأيتك لآخر مرة منذ سنوات، أو ربما بالأمس، عندما ظهرت لي مرة أخرى، ليلاً. لا، لم أكن أحلم بك. فالأحلام يمكن أن ننحيها جانباً، أن نفرغ منها كما نفرغ عادة من "الأحلام". أتحدث معك، ولكنك لا تعطيني جواباً. أعرف أن هناك، حيث تكون، يفضلون الصمت. أو لعلي مخطئة؟ هل يمكن ألا أسمعك؟ هل يمكن تدريب الأذن لتسمع ما لا يمكن سماعه؟ أن تصبح قادرة على استقبال الموجات الصوتية التي لا يسمعها سوى الخفافيش، أو بالأحرى لا تسمعها سوى حشرة العثة، حيث أعضاء جهاز السمع عندها في محيط الصدر، فراغان يغطيهما أغشية رقيقة منسوجة بدقة لتتمكن من التقاط أعلى الترددات بدون مجهود يذكر – والتقاط أكثر الأصوات خفوتاً التي تعجز الأذن البشرية عن سماعها ولا حتى بعد تقويتها عشر مرات.
أنا لست خفاشاً ولست حشرة العثة، ولكني أراك، تظهر أمامي. تظهر، يا لها من كلمة. تتأملني، بنفس النظرة التي كنت تتأملني بها فيما مضى، عندما كنا أطفالاً. ولكن ربما لم تكن طفلاً أبداً. بالرغم من أني أكبر منك، إلا إنني كنت أشعر بخوف ما منك، وبالرغم من ذلك سمحت لشفتيك المليئتين بالسكر الناعم أن تلمسا شفتي. كان ذلك ذات يوم من أيام الربيع عندما كنا فوق فراشك نأكل حلوى *البالاشينتا*. سنتزوج، قلت أنت، بالرغم من أن الزواج بين أبناء العمومة يتصدر قائمة الخطايا لدى القساوسة. سألتك، لماذا لا تغلق عينيك أثناء التقبيل. هل تعرفين يا هانا، أنا -بكل تأكيد - كثيراً ما أنام وعيناي مفتوحتان. وهنا كان هذا الشعور حاضراً مرة أخرى، الشعور بالخوف الخافت منك والرغبة في تقبيلك مرة أخرى.
لم نتبادل القبل بعد ذلك أبداً، ولا حتى قبلة على الخدين. كثيراً ما كنا ننظر إلى بعضنا البعض، وقد أصابنا الخرس، ودائماً كنت أنا أول من يستسلم. على أن أستخدم كلمة أخرى، لأن "يستسلم" توهم بأن هناك حرب، بينما لم نكن نحارب بالنظرات، أنت على كل حال لم تكن تحارب. نظرتُ بعيداً وأنت تحكي. المدرسة مثلاً كانت عائقاً مكوناً من الأرقام والحروف. وبكل تأكيد لم يكن مفيداً أن نعرف أن ناتج اثنين زائد اثنين هو أربعة، فلا يمكن أن نزعم أن مقعدين هما نفس الشيء مثل ثمرتين من الجوز. في الفصل يضحك الجميع عندما يسال زولي سؤالاً ويقول المدرس إنه من الأفضل أن يحتفظ زولي بالأسئلة الكثيرة داخل راسه، ولكن زولي عندما لم يكن ينتبه إلى إنه يسأل، كان يستمر في الأسئلة، كان فمه يبدأ في الكلام وحده. ولكنك تعرفين بالطبع يا هانا، ما الذي أتحدث عنه. أليس كذلك؟
كنت أعرف، ولم أكن أعرف.

جلسنا على فراش زولي، أريكة تُفتح وتُغلق. قال زولي إن كائنات مسلية تسكن داخل الأريكة، ثم أخذ يشد الوسائد ليساويها، قبل أن يعرض علي أن أجلس فوق موضع جيد التنجيد. كان هذا في يوم من أيام الصيف عندما ذهبت هناك في زيارة غير متوقعة. كلما دققت على الباب المتهالك، وسمعت صوت زوركا العالي يدعوني للدخول، وكلما فتحت الباب الموارب وخلعت حذائي ورفعت الناموسية بحركة مترددة، كانت تنتابني رغبة – لم تنتابني في ذلك اليوم من أيام الصيف فقط – أن أعيد القماش المبقع المرقع إلى مكانه، أن أرتدي الحذاء مرة أخرى، ثم أطلق ساقي للريح.

كأنني كنت أشعر في ذلك الوقت بالفعل إن هذا البيت له رائحة القدر إلى جانب روائح السجائر والقهوة والعرق والحديد، مهما بدت هذه الجملة متعالية ومثيرة للخوف، القدر حتمي وعظيم، القضاء والقدر المرسل من الله، كم هو خادع، يلقي القضاء والقدر بالمسئولية على تلك القوة المتحكمة في حياة الانسان، ولا علاقة له بالمسئولية الشخصية ولا بالحياة الشخصية التافهة، ويلجأ إلى القدير إذا ما تطلب الأمر ايجاد إجابات بشرية لأسئلة بشرية. عرفت في هذه الأثناء إننا كثيراً ما نتحدث عن القدر عندما يكون علينا التزام الصمت. أو الحكي. لا، في ذلك الوقت لم أكن أتدبر في مفهوم القدر. كنت فقط أخاف من شيء يمكن أن يفاجئني من خلف الستارة، ومن المحتمل أني كنت أشعر إنه لا يمكن لحالة الفقر أن تمر هكذا بلا نتائج.

أمثلة من الترجمة

Melinda Nadj Abonji
Schildkrötensalat

Suhrkamp Verlag, Berlin 2017
ISBN 978-3-518-42759-0

صفحات 7-34

ملیندا نادچي أبونچي
جندي السلحفاة

هبة شريف

© 2017 Suhrkamp Verlag

ي – و – م - ف – ط – ا – ئـ – ر ا – ل – ب – ر – ق – و – ق

وقعت مثل شوال من الدقيق من فوق الدراجة النارية، وأكمل ابي قيادة الدراجة بدوني، ظل فترة طويلة قبل أن ينتبه ألا أحد وراءه على الدراجة، أنا كنت راقداً على الأرض في الشارع، وبداخل حقيبتي المعلقة خبز طازج.
تررررررررر
عاد أبي مرة أخرى بالدراجة النارية، بالرغم من إني كنت فاقداً للوعي، الا إنني سمعت ما قالوه جميعاً بدقة فيما بعد، قالوا إن أبي عاد بالدراجة النارية إلى عالمي، عالمي الذي كان لونه برتقالياً وفيروزياً وأرجوانياً، كانت الازهار موجودة في كل أركان عالمي وعلى حوافه، وكانت رائحتها مثل الخبز، الخبز الأبيض الذي كان ملقياً إلى جانبي في التراب، وسمعت أبي يناديني، وسمعت صوته، كان يتدفق من فوق الأزهار، يهزني من كتفي، زولي! زولي!
أرسلت إلى أبي الجراد والفئران التي تصفر وتجعل ركبتيه ترتجفان حتى أجعله يشعر بالتعب، ناديت على كلب الجارة حتى يلعق له باطن ساقه – وهو ما لم يكن يطيقه أبداً، فكرت في كل شيء ممكن حتى يدعني في حالي
لماذا كان عليه أن يفعل ذلك؟ سوف أقص عليكم كل ذلك لاحقاً، إذا كان لديكم الصبر، بالتأكيد لديكم الصبر. أخذ أبي يشد شحمة أذني، قف يا ولد، اليوم هو يوم فطائر البرقوق، هل نسيت؟ وفيما عدا صوت أبي، كان هناك صوت آخر، وكان هذا الصوت يصرخ بطريقة تجعل أزهاري تصاب بالدوار، ابنك ينزف، أنظر هنا، ينزف من رأسه! بسرعة، لابد أن نستدعى طبيباً.
أعرف الآن من أين أتت أزهاري، لابد أن أقص ذلك عليكم، عندما قال الصوت الصارخ إنني أنزف، عرفت على الفور إن أزهاري نمت من الدم، نعم، من الثقب النازف في رأسي، وأقسم بنفسي إنني لم أر في حياتي أزهاراً أجمل منها، لم تكن أزهار القرنفل أو الورد، لم تكن أزهار الأيريس أو الجيربيرا أو السوسن، ولا حتى نبات البتونيا، لم تكن أزهاراً، ولكنها كانت رؤوس طيور، أوه لا، لا أختلق كل هذا، كانت رؤوس عصافير رمادية اتخذت بعد ذلك شكل الأزهار، ولكن لم يكن لونها رمادياً ولا كان مائلاً للرمادي، ولا كانت مخططة كما هو الحال مع العصافير الرمادية، لكنها كانت تضيء خلف عيني بأكثر لون أحمر يمكن تخيله، متخذة شكل الأزهار
ولكنهم سحبوني خارج جنة حديقتي، طبيب الثوم ضخ هواءه داخلي وربت على جسدي وأمسك برسغي، فتح جفني، كأنه سيقدر أن يرى شيئاً داخل مقلتي عيني، نعم نعم، العالم

المجنون، ثم رفعوني فوق احدى العربات، وقالوا إنه ثقيل الوزن، أثقل مما يبدو، حولي أياد كثيرة متداخلة، عرق مجهد ، فلتتركوني أرقد هنا، لماذا لا يسمعني أحد؟ يتحدثون معي بصخب محموم، اتركوني في حالي، صرخت، ولكن لا أحد، لا أحد سمعني، وعصافير أزهاري، أخذت تصغر شيئاً فشيئاً وتصبح أكثر نحافة، ثم طاروا جميعاً عندما غسلوا عنهم لونهم الأحمر كله. تركوني خلفهم، ولهذا، نعم، ولهذا بالتحديد، بكيت، عندما فتحت عيني، أنظروا، إنه يبكي، قال الطبيب، ظهرت الممرضة ثم راس أبي فوقي، يا ولد، تترك دموعك تسيل ونحن؟ نحن قد أعيانا القلق، وقبلني أبي بصوت مسموع على جبيني، اين خبزي؟
نظروا إلى جميعاً في بلاهة، إنه يسال عن خبزه، فلتسمعوا، يريد أن يعرف أين خبزه
وهنا، هنا اندفعت قافزاً، وأمسكت الطبيب من ياقة معطفه الأبيض، وتقيأت كلماتي فوق نزاهته البيضاء، غضبي أثار الحيرة في رأسه، وصرخت، لماذا بكيت، لأنهم ...مني...
أزهاري...طيوري..وألواني...ولأنني كنت راقدا وسط التراب الذهبي....ولان مساعدة السيد الطبيب ذات الرائحة التي تشبه رائحة النقود الكريهة، النقود التي يتركها الطبيب تختفي داخل جيب معطفه الأبيض...
وحملق بابا في، هل أنت زولي، ولكن لا يمكن أن تكون أنت أبداً، أنت لم تتحدث بهذه الطريقة أبداً يا زولي، أي شيطان حل فيك...
شيطان - زولي!
شيطان - التراب!
شيطان - الغجر!

ي-و- م – ف – ط – ا – ئـ – ر – ا – ل – ب - ر- ق – و – ق - ، اليوم الذي تقدم فيه فطائر البرقوق، يوم جمعة غالباً، كم أحب أن أنزع معطف البطاطس عن البرقوق، وأترك ثمار البرقوق الساخنة، بل الساخنة جداً، تختفي داخل فمي، وانا قادر بكل تأكيد على تناول سبع حتى عشر فطائر بلا أية مشكلة.

د – م – ا – ب – ن – ا – ل – ز – ن – ا

قيل فيما بعد، إن هذه كانت البداية، قيل إن دماء كثيرة فارت من رأسي، الدماء لا تفور، قلت لبابا، ولكنك لم تر شيئاً، لم تر ماذا فعلت دماؤك، نافورة حقيقية اندفعت من راسك، أؤكد لك، ويمد بابا يده ليمسك بخرطوم الحديقة، ويرشني بالماء بين ساقي، أترى، هكذا!
وأنا لا أريد أن أقول له إنه قد قال لتوه "إن الدماء قد اندفعت من رأسك"، اندفعت أو فارت، هذا لا يهم بابا في شيء، يريد أن يحكي لي مرة أخرى كيف إنني وقعت من فوق الدراجة النارية مثل شوال الدقيق – بالرغم من إنه لم يلحظ إنني لم أعد وراءه على الدراجة، كيف يمكن أن يعرف إذن إنني وقعت "مثل شوال الدقيق"؟ - يريد أبي أن يشرح لي مرة أخرى، إن هذا اليوم كان بداية النهاية، يجب أن أخذ منه الخرطوم، لأنه ليست لديه فكرة عن كمية ماء الشرب التي تحتاجها أزهاري، في هذا اليوم، أصبحت أبله مثل المدفع، يقول أبي.
م – د – ف – ع -
ويجلس على الدكة الخشبية متنهداً، يبصق فيصيب ببصاقه توتة برية ناضجة، كف عن هذا، أقول له، إنهم لا يحبون هذا، لا يحبون بصاقك، ولكنه يبدأ مرة أخرى في العويل، يمسك بشعره، كان يمكن أن تصبح شيئاً هاماً يا زولي، اللعنة على هذا الخراء، اللعنة على كل هذا الخراء، اللعنة على طعم الحديد في اللسان، كان يمكن أن تنقذ نفسك من هذا الخراء، ولكن بدلاً من ذلك تركت نفسك لتسقط من فوق الدراجة النارية، وترقد مثل الموتى في التراب، وعندما عدت لوعيك أخيراً، تمسك بالطبيب من ياقة معطفه، وكأنه هو الذي افسد حياتك، زولي....
يتجشأ بابا ليطلق في وجهي رائحة حمض الكربونيك
هموم الآباء، اللعنة!
ويمد بابا يده ليعطيني الزجاجة، وأضعها على شفتي، وفوقي السحاب مثل ندف الثلج، أخ، هذا الطقس الذي يسرق من حديقتي كل ماءها، وأنظر بعيداً، أنظر إلى أشجاري وشجيراتي وأزهاري، ويجهش أبي باكياً، يضرب باطن ساقي بحذائه - حذاء موظف السكة الحديد، أتهاوى، ويسقط الخرطوم من يدي، يصيب ماؤه المتدفق سياج شجيرات التوت البري، ولكن الزجاجة مازالت سليمة في يدي اليمنى، بابا من خلفي لا يستطيع التماسك من فرط العويل، كان يمكن أن تنقذني، تنقذني وتنقذ قلبي، يشهق بابا بالبكاء، لدرجة إن رأسي انكمش داخل عنقي، وقبضة يديه مثل ثمرتا الجوز أشعر بهما بين كتفي، صلبتان مثل البَرَد ، نظرتي الأرضية إلى التوت البري الملقى في التراب، أوه، التوت البري، يتكون من الكثير من ثمرات التوت، هذا اللون الأرجواني اللامع بعد رذاذ المطر الخفيف، وهذه الفجوة القبيحة التي يحدثها صرصار إذا أكل ثمرة واحدة من التوت.
في بداية النهاية، كما يقول بابا، يشد الزجاجة من بين أصابعي، البيرة تقرقر وهو يشربها، يبكي خلف ظهري، وأتعرفون، ما الذي يعنيه بهذا؟ منذ سقطت من فوق الدراجة النارية، بدأت الرجفة ، كما يقول بابا، بداية النهاية، منذ ذلك الوقت وأنا في راسي بندول غير منضبط، أصبحت خوافاً مثل بنت صغيرة، هذا ما أصبحت عليه، شاب يرتعد إذا سمع رعداً أو شاهد

برقاً، ها، ما هذا؟ شاب في طول الشجرة، يصيبه الاسهال خوفاً بلا أي سبب – فجأة وبدون مقدمات أصبحت شاباً مجنوناً، لم يعد يطيع أحداً...
إنه يحدث، وعندما يحدث، تنتابني رجفة، خفقان، تلتصق افكاري بجدار رأسي، وأنا مازلت أنا بدون زولي.، هل تريدون أن تعرفوا ما الذي يعنيه هذا؟ لا أعرف، حتى لو كنتم صبورين معي، لن يكون بمقدوري أن أقول لكم المعنى بدقة، ولكن أستطيع أن أقول لكم، إن أبي لم يرغب أبداً أن يعرف ما الذي يعنيه هذا، كان يثور ويغضب ويتعرق عندما كنت أقول له، أنا مازلت أنا بدون زولي، هذا هو تحديداً، هذا التخريف البائس في راسك! ثم يبدأ بابا الكلام دائما عن بداية النهاية، وإن الدماء التي فارت خارج راسي تركت وراءها تخريفاً، كان من المنطقي أن يضطر المشرف على العمل لنقلي، عامل بائس ومهووس بالحدائق، هذا ما أصبحت عليه، وبين فخذي وردة بدلاً من قضيب، الخبز الطازج والمال الوفير، أين ذهبوا؟
هو، من أعطى طفله اسمه، وفي ذلك الوقت، هنأه الجميع بولادة ابنه، كان فخوراً مثل الطاووس بهذا الشيء عديم الشعر، فخوراً بهذا اللاشيء الذي كان يمكن أن يصبح شيئاً هاماً، يحتاج الناس إلى الخبز دائماً، يصبح خبازاً له محله الخاص يمكن الجلوس أمامه في الأمسيات المتملقة والمشمسة، يشهق أبي بالبكاء، ويده غير المشغولة تستقر على ظهري – حيوان، يتشمم وينتظر طعامه.
ظ – هـ - ر-
وبدأ أبي يتأتأ، أعمدك باسم زولتان، كيرتيز زولتان! صب البيرة فوقي من الخلف، وتبلل البيرة شعري، تقع بعض القطرات فوق التراب أمامي لتحوله إلى كتلة، تحوله إلى النصب التذكاري لآلام بابا
أ – خ
صحيح، كان يمكن أن أنقذ أبي، كان يمكن أن أنثر الدقيق الأبيض الطازج على كل شيء كأنني أنثر تراباً، كان يمكن أن أجعل مجمل حياته البشرية الحقيرة غير المتكررة تتخمر في عجينة دقيق هشة
_خ – ب – ز - جميل - خ – ب – ز – جيد خ – ب – ز – يومي
كان يمكن أن أرتدي الطاقية المنشاة التي يرتديها المشرف على العمال، أرتدي مريلة المشرف، والقرية كلها كانت بكل تأكيد ستشتري مني الخبز، كل فصول السنة كانت ستتردد علي، من أول فطيرة عيد الفصح حتى فطيرة عيد الميلاد المجيد، دورة فصول السنة، كتاب نفتحه ثم نعود ونغلقه، كان يمكن أن تكون رائحتي دائماً مثل رائحة الخميرة الطازجة، كان يمكن طبعاً أن أكون كل هذا، وأبي كان يمكن أن يغسل دماءه الغجرية في وظيفتي البيضاء كل يوم ، كنا سنتوقف عن كوننا قضباناً، عن كوننا الغابة، القذارة، الماشية، الأحشاء وأرجل الدجاج، الجذور، الحطب المسروق، البن المتبقي في القاع بعد شرب القهوة والتوافه، كنا سنصبح المدفأة نفسها، الدفء، نعم، كنا سنصبح الشوارع المسفلتة، تقاطعات الشوارع، إشارات المرور، أسنان صحية وحيوانات منزلية، بيوت بها مراحيض إنجليزية، النظرة العطوفة، الثرثرة في السوق، كنا سنصبح المخبز في القرية، كنا سنصبح الملائكة الحالمة،

وليس أولاد الكلاب ولا كان دمنا دم أولاد الزنا! كنا سنهش القطط الجربانة بدون أن نضربها بيد المقشة، والقرية، القرية كانت ستكون فخورة بنا
بابا، لماذا تقول إني ابن زنا؟ - ا – ب – ن – ز – ن – ا- أنا ابنك
لمن هذه الزجاجة الفارغة؟ لمن هذه الزجاجة الفارغة؟ لمن هذه الزجاجة عديمة النفع المهينة ليدي بوزنها عديم النفع؟ هل أصبحت أباً لأبله يتلجلج في الكلام؟
وبابا لم تعد لديه القوة، قلبه قطعة من اللحم الخامد المعذب، والزجاجة لم يعد لها بطن، ولا رقبة، الزجاج المكسور ملقى في التراب إلى جانب التوت البري
زولي...
صوت أبي قريب جدا من أذني، نشيجه، الدم، يا زولي، فار من راسك
فكر في الماعز وهي تتدافع لتخرج من السور
فكر في السحابة السوداء التي تنكسر
فكر في أمك عندما تبدأ في السباب
هكذا كان الأمر، هكذا تماماً، قال بابا، عندما فار الدم من رأسك، بداية النهاية
نعم، كان يمكن أن أنقذ بابا

الدم، يوجد دم جاف، ودم متجمد أو دم طازج رائحته مثل رائحة الحديد، الدم، الذي يقطر، سميكاً وثقيلاً ويثير الحسرة، والدم تحت الجلد ليس أكثر من الشعور بالدفء أو البرد، ولكن بابا، لا يريد أن يعرف أياً من كل هذا أبداً.

م – ل – ك – م – ع – ا - ط – ف – ا – ل – ع - ل

أراقب أبي وهو يطير، يطير ويطير ويطير إلى أعلى، أتخيل إنه ربما يرغب في زيارة السماء في هذه الأمسية الخانقة، يريد دغدغتها بأصابعه المليئة بالندوب، إنه أبي من يقول إن له أصابع مليئة بالندوب،
- ن –د – و – ب - ، كم يستطيع الطيران عالياً – أبي، الذي يعمل عند القضبان، عند القطارات، يقوم بالتحويلات، ينحني، يوسخ يديه، يلهث ويسعل، تخرج البيرة منه في شكل عرق فوق جبهته –
يطير ويطير ويطير مرتدياً معطف العمل الذي تفوح منه رائحة الزيت، معطف يظل قذراً حتى لو غُسل ولكن من يفعل به هذا؟ ليصبح في مؤخرته هذا الموتور ذو القوة الدافعة الصاروخية، وتشع عيناه بقوة الألعاب النارية؟ باباااااا! أناديه، وأنا واقف في الحديقة، عند شجيرة الورد، ويندفع من بين أصابعي بكل تأكيد شهاب من الضوء ذو خمس ألوان، كنت قد سقيت الورود لتوي بماء الشرب اليومي، باباااااا! وجرى شهابي بألوانه المتعددة وألوانه الخمس ناحية معطف أبي، كم هو جميل هذا المنظر، كم يبدو حقاً وبكل تأكيد أجمل من اي شيء آخر رايته حتى الآن، بابا يجلس الأن على عرش لامع، وإذا كنتم لا تصدقوني، فانا أشعر بالأسف من أجلكم، يجلس على عرش لامع، لا، بل على عرش لامع فاخر ومتلألئ خرج من بين أصابعي وكبر بسرعة، إنه يجلس هنا، ملك المعاطف الزرقاء، لم يعد شكله كما أعرفه، فهو لا يتعرق، لا يسعل، إنه يجلس هنا وقد ارتخت ذراعاه، يهز راسه ويبتسم، بالتأكيد، فهو يدغدغ السماء بشعره الخشن، - ش – ع – ر – ا – ل – خ – ن – ز – ي – ر – ا – ل - خ – ش – ن ، يقول بابا
بابااااا – الملك! أناديه، أن يستطيع أن يجلس هكذا ويلمع هكذا، يبتسم راضياً هكذا، ومعطفه لم يعد معطف العمل، وإنما رداء من العنبر الأزرق يرتديه عند السماء ذات اللون الأصفر القذر، أن تتوهج في عينيه الألعاب النارية ليصل وهجها إلي وحتى حديقة الورد، وأن يتطاير من ورود الشاي لهذا السبب غالباً سحر العطر بلا خجل– أن يصبح كل شيء كما هو الآن، وأن أعرف ذلك، فهذا له علاقة بي، بابنه.
بابا، أنت ملك معاطف العمل، والسماء الصفراء سوف تنفتح لك حالاً وتظهر لك كل معجزاتها....

اتكأت على مرفقي في الفراش، ونظرت إلى بابا، كان يجلس وحده في المطبخ، ويمد ساقيه العاريتين أمامه في اتجاهي، هل تسمعني يا ملك المعاطف؟
ولكن بابا كان يقول كلاماً غير مفهوم، وفي عينيه كان الخريف يدور والشتاء يدور والليالي الخالية من النجوم والقمر الملوث بالشحم، وفوق لسانه كانت أمي ترقص وفمها أحمر زيتي، وشعرها مصفف، سلام أيها الاثنان، انتبها لأنفسكما، سأعود مرة أخرى...

- أ – خ-

© 2018 Litrix.de

2

لو أستطيع أن أقول شيئاً عن عينيه، أن أقول تعبيراً أفضل من "عيناه كانتا زرقاوين"، في زرقة السماء الخالية من السحب في أيام الصيف المعتدلة الحرارة التي لا تجفف الأزهار والشجيرات والحشائش. لو كنت أستطيع أن أجد تشبيهاً مناسباً، أزرق مثل – ولابد أن يكون التشبيه فريداً من نوعه.
إصراره في توجيه النظرات أو في الاشاحة بنظره فسره الكبار على أنه يتمتع بقوة تنتصر دائماً ولهذا فهي تثير الاعجاب– وفي اللحظة التالية يقولون إنه تطاول وقح لا يحق لصبي مليء بالأقذار.

عندما وصل الباص الذي أركبه متأخراً عن موعده ساعة كاملة، كان زولتان واقفاً عند موقف الباص مرتدياً سرواله الفضفاض وتي شيرت باهتة فقدت شكلها. كان يقف تحت ظلال شجرة جافة، في عصر ذاك اليوم من أيام شهر يونيو حيث كانت السماء لامعة وخالية من السحب ولونها فائق الزرقة، كنا على وشك أن نبلغ العمر الذي نصبح فيه كباراً. توجهت إلى زولي، إلى عينيه المفتوحتين على اتساعهما. وفجأة حضر هذا الشعور الذي لا يمكن التخلص منه، شعور إنني قد فاتني شيء ما في هذه النظرة – ليس شيئاً عادياً ولكنه شيء جوهري، لم يفتني بسبب التعود، ولا بسبب التركيز على البريق الذي يصاحب ظهوره المهيمن حيث يبهت معه كل شيء آخر.

لوح لي زولي بحركة بسيطة من يده، لوحت له بدوري، وكلما اقتربت منه أكثر، كلما رأيت اللون الأساسي لعينيه أكثر وضوحاً – ورأيت إن الأزرق الفاتن الذي يطغى لمعانه على كل شيء كان فقط الطبقة السطحية لهذا اللون الأساسي. أدركت ما استطعت أن أعبر عنه فيما بعد بوقت طويل، إن كل شيء كان يصب في عيني زولي، بدون عوائق وبدون مرشحات. كان يلتقط كل ما هو موجود، ويلتقط من بينها أيضاً كل ما كان خفياً، كل ما يجب أن يظل خفياً. كانت نظرته تعرف شيئاً لا نعرفه نحن الأخرون. ثم تلك الجملة التي يقولها زوركا أو لايوس : أنظر إلى هاتين العينين، هكذا ينظر الله أو الشيطان! والاعتراض الخجول بإننا لا نعرف كيف ينظر الله أو الشيطان - لم يكن له أي تأثير.

تبادلنا التحية بعناق طويل. كتفا زولي الدافئتان، عرقه ذو الرائحة اللطيفة. أشعر إنك قد تغيبت مدة طويلة، تغيبت عمراً بأكمله، أنت بشعرك المتشابك الذي كان يمكن أن أعشش فيه، قال زولي بصوت خافت. لمس بأطراف أصابعه شعري برقة وبشكل عابر، ثم علق حقيبتي على كتفه وانطلقنا، مشينا على الرصيف الذي انفتح سطحه في بعض المواضع بفعل حراراه الصيفيات المتتالية. حيوانات الخلد! انحنى زولي ومسح بيده على مسطح مرتفع من الأسفلت،

وهنا انتبهت إلى إن جانب فمه ينقصه سن. لا، لم يكن بسبب الضرب، كانت فقط أرخص وسيلة للتخلص من سن مؤلم.
عندما توقفنا أمام بوابة الحديقة قال زولي، أخ، أتعرفين، ربما لابد أن نذهب في البداية لنلقي التحية على بيتي الصغير، بيت زولي –كان مخزنا الغلال واصبح يخصه.
ها قد وصلتما أخيراً، صاحت زوركا ولوحت بسيجارتها من نافذة المطبخ، أدخلا، يمكن لهذه الأدغال الخضراء أن تنتظر، ولكن لايوس وأنا، فقد نفد صبرنا! نظر زولي إلي، وعرفت ما الذي تعنيه نظرته. سوف يكون لدينا فيما بعد الوقت الكافي لأن نذهب إلى الحديقة بدون أن يشعر أحد. عندما يغوص زوركا ولايوس في أحلامهما، نستطيع أن ننسحب بكل هدوء لنشاهد في مخزن زولي كل تلك التحف الثمينة التي جمعها منذ آخر لقاء لنا. سوف تتعجبين يا هانا بكل تأكيد، قال زولي ونحن نتوجه إلى البيت، بيت عائلة كيرتز من بيوت موظفي السكة الحديد أضاف إليه "الزمن" أو أضافت له "الظروف" الكثير، البيت ذو الجرح البادي على يمين الباب، البيت ذو الشروخ و الطلاء المتساقط لتبدو من ورائه أحجار القرميد الباهتة.

ألم تتلكعا بما فيه الكفاية؟ هل تتعمدان أن تطيلا علينا الوقت في انتظاركما؟ هل قضيتما وقتاً مسلياً بدوننا؟ هيا، فلتجلسا الأن.

جلست بجانب زولي خلف منضدة المطبخ، وشعرت كعهدي دائماً بالخوف من سيل الكلام المتدفق من لايوس وزوركا، أعجبت بأن كل منهما يوجه لي حديثه في نفس الوقت وكأنه شيء طبيعي. بينما أرشف من القهوة المحلاة بكثير من السكر، وبين الحين والآخر أحاول الإجابة على اسئلتهما. كان زولي منحنياً على دفتر الغازه، ويقف أحياناً حتى يأتي بإمدادات أخرى من الثلاجة بدون أن يطلب أحد منه ذلك. ويسرع لايوس وزوركا لنزع الأغطية المزعجة عن زجاجات البيرة.
أخذا يشربان بيرة يلين بيفو بلا انقطاع، ورفضت شاكرة عندما قدما لي زجاجة. فيما بعد، سوف أطبخ لنا شيئاً، بعدما نتبادل الحديث قليلاً قالت زوركا، وسرعان ما كان على زولي أن يحضر أوراق اللعب، لابد أن نسأل الطالع، قالت زوركا. وقال لايوس متهكماً، أنا لا يهمني الطالع، ولا المستقبل ولا كل كلام النسوان الفارغ هذا. ورغم ذلك، فكان ينظر بطرف عينه إلى كروت اللعب عندما بدأ زولي يفردها بأصابع سريعة على المنضدة. وعندما ظهرت ورقة الآس بالقلب صاحت زوركا وقبلت زولي على جبينه، وفقد لايوس أعصابه ورفع المنضدة فانزلقت أوراق الكوتشينة وبعض الزجاجات الفارغة ووقعوا على الأرض، صوت الفرقعة المكتوم عندما وقعت منفضة السجائر المليئة لحافتها بأعقاب السجائر. وانطلق زوركا ولايوس في تبادل السباب بلا حياء. انحنى زولي وأخذ يزحف على الأرض، وسارعت أنا بمساعدته، ولكن عندما انحنيت إلى جانبه، لم أستطع الإفلات من الكلمات البغيضة: فبينما كان زولي يلم أعقاب السجائر وقطع الزجاج المتناثرة في راحة يده، أخذ يكرر لنفسه في همس وشبه تعبد كل كلمات الشتائم التي قالها أبواه.

ما هذا، ما هذا الذي تفعله؟ سألت زولي بصوت خفيض، فنظر إلى بعينيه الصعب نسيانهما. وقال بعد برهة بصوت غير مسموع تقريباً، هانا، ولكن الكلمات السيئة – هي أيضاً لابد أن نرفعها من على الأرض ً بكل تأكيد.

وساد الهدوء بعد ذلك. أخذ الماء يرشح من الصنبور فوق الأطباق القذرة، وطن الذباب في الهواء المفعم بالدخان. الآن، الاثنان نائمان يشخران، والد زولي نائم فوق الأريكة بفم مفتوح وشعر منفوش. انظري كيف ينفش نفسه، قال زولي. آخر الأزرار في ثوب أمه المنزلي كان واقعاً على الأرض، مثل وجه بدون فم، والمقعد الذي جلست عليه أخذ يتأرجح معها. وخطر لي إن حتى هي كانت طفلة في يوم ما. عاد زولي ليجلس خلف منضدة المطبخ، وأخذ يمضغ طرف قلم الرصاص، كتب:
حفيد ذكر

- ا – ب – ن –

عاصمة إيطاليا

- ر – و – م – ا –

ضمير ملكية

- ي –

الآن أفضل وقت لأن نذهب، هيا بنا يا هانا. كنوزي تنتظرنا.

3

كثيرا ما رأيت هذا المشهد، اليدان الخشنتان القويتان وهما تمسكان بك، أمك مرتدية الروب الصباحي وتصفعك بشكل عابر، وكأن الصفعة جزء من تفاصيل اليوم.

الكبار يثيرون أعصابي، قلت أنت، ولكن عندما أكبر سأصبح شجرة تفاح، شجرة أكاسيا أو شجرة بتولا مرقطة! وعرضت على قطعة من لحاء الشجر وجدتها في قرية مجاورة. هذا غير وارد، غير وارد أبداً أن نصبح أشجاراً، رددتُ عليك، الانسان ببساطة انسان – ونظرت إلي غير مصدق. لكن يا هانا، أستطيع أن أصبح شجرة بالرغم من ذلك، أو قد تفهميها هكذا أفضل، فأنا يمكن أن أصبح مثل الشجرة، ستفهمين هذه الرغبة إذا حدث ومسحت ذات مرة، مرة واحدة فقط، على ورقة من شجرة الزيزفون في الربيع، هذا الرداء من الورق الناعم الملمس هو أجمل شيء لمسته في حياتي كلها، صدقيني. وشعرت بالحرارة تتصاعد داخلي لأنني لم افهمك، ولأنني فهمتك. وكان مخاطك الموجود دائماً يشعرني بالنفور، هو وقدماك القذرتان.

كنت تناديني دائماً باسم "هانا"، قلت إن "حرف الهاء" هي أعظم طريقة يمكن أن يتبعها الانسان ليجلس، ليرتاح. لم أسأل عن ذلك أبداً، لأنني أحببت أنك كنت تناديني "هانا".

لماذا لم أعد أسمع وقع صوتك عندما تقول "هانا"؟ لا يمكن أن أكون قد نسيت وقع صوتك، بينما أتذكر بكل دقة الجمل التي قلتها.

كيرتيز زولتان. ربما علي أن أردد الاسم طويلاً إلى أن أستطيع سماع صوتك مرة أخرى. اسمك محفور على صليب خشبي في جملة مفيدة. هنا يرقد كيرتيز زولتان. جملة مغلوطة محفورة على صليب خشبي رخيص. ربما بسبب عدم وجود مساحة كافية. نأمل أن يجد كيرتيز زولتان الراحة هنا. كان يمكن أن تُكتب مثل هذه الجملة على الأقل ، ولم تكن لتحتاج مساحة كبيرة، أخمش بمقدمة حذائي الأرض الجافة. لا أعرف حتى إذا كنت قد أحببت صوتك. على العكس من ذلك أرى نظرتك بكل وضوح امامي.
لماذا يقف الناس عند القبور، لماذا أقف أنا هنا وأحاول أن أتخيل كيف دفنوك، كيف حملك من بقى حياً إلى القبر؟ لا أعرف إذا كنت تسمعني، ولكنني أتحدث إليك. أريد أن أعرف متى بدأ موتك، لهذا السبب أنا هنا. لا أريد أن أرثي أحداً ولكني أريد أن أفهم، ولا أريد أية تكهنات، لابد أن تختفي كلها. وهناك شيء اريد ان أعلن بأعلى صوت ممكن إني أريد التخلص منه، أن أصيح في وسط هذا الصمت المزيف، في كل وقت وفي كل مكان، هذا العذاب المتزايد والمبالغ فيه، الموت الذي يُقدم قرباناً في كل تنويعاته – جسدي الذي استسلم من أجلكم، وماذا

إذا كنت لا أريده، هذا الجسد؟ الابن الضحية؟ هل يمكن أن نتخيل تضحية أبشع من تضحية المسيح المصلوب الذي لم يسمح له أحد بأن تكون له ارادة؟
لا يمكن أن تكون قد عرفت إن الطريق الذي سلكه المسيح لمكان صلبه يمر بقبرك، قطع فجة من الخشب محفور عليها نقوش وأرقام رومانية، تعرضها الدائم لتقلبات الجو أصابها بالتآكل وأصبح شكلها محتملاً. لم تكن تعرف إن المحطة الثالثة في طريق الآلام تقع خلف قبرك مباشرة. وأشعر إنه لا يصح أن أشعر بالتعاطف الآن– كل صليب يذكرني إن خلاص الانسان يعتمد على القسوة، يدا المسيح وأقدامه التي ثقبتها المسامير، راسه المعلق مائلاً والنازف من الجبين والصدغين ومن جانبي راسه – كم مرة رأيت هذه الصورة؟ في كل مرة كان علي فيها أن أتأمل المسيح المعذب والمهان والمعلقً شبه عار على الصليب كنت أشعر بخجل شديد، ولكن بعد ذلك كان ينتابني شعور جامح بالإقبال على الحياة: أن أقضم قطعة حلوى مليئة بالكريمة، أن أشعر بالماء الدافئ يتدفق على أصابعي وعلى وجهي، أن أغلق عيني، أن أفكر إنه يوجد أحلام قديمة شريرة، لكنها ستختفي يوماً ما من الوجود.

م – ز – ا – ج – ا – ل – س – ع – ا – د – ة –

تفرم أمي حبات الثوم، تقف مرتدية المريلة خلف منضدة المطبخ، أنا جالس وهي تفرم وتدخن، كانت قد لفت شعرها على البكرات الفضية المخرمة، وعندما كانت تفك البكرات من شعرها كانت تدندن بالغناء، مزاجها جيد، "لالالالالاي، لا تحكم في الحب يا قاضي لالالالالاي".
أكتب في كراستي ح – ب – ب - ك – ر – ا – ت – ا – ل – ش – ع – ر – وأكتب – ل – ا - ل- ا – ل –ا - ل – ا – ل – ا – ل – ا – ي – تقذف لي بحبة ثوم، ساعدني يا زولي، بدلاً من الشخبطة البلهاء، فأخرج سكيناً من الدرج ولوحاً خشبياً، استطعت نزع القشرة بسهولة، وعندما بدأت أقطع الثوم انزلقت يدي، تقطر الدماء فوق اللوح، وأقول بيني وبين نفسي: اللوح الدموي، أمسك بالقلم لأكتب الكلمة، رماد سيجارة أمي يسقط فوق المنضدة، يتوهج، ويحدث ثقباً في المفرش البلاستيك "لا تحكم في الحب يا قاضي" تدندن أمي وتعاود الفرم
يتخضب اللوح بالدماء، يلون حبة الثوم بلون أحمر زاه، ترتجف يداي، ثم تأتي هذه اللحظة مرة أخرى حيث تتحرك الأشياء، تتداخل في بعضها البعض – سعادة أمي، دافئة، تسيل وتسيل من بكرات شعرها ويضيء وجهها من فرط السعادة، وجهها سعيد مثل وجهي عندما أقف تحت مطر الصيف الدافئ بدون أن أضطر إلى السباحة
من نافذة المطبخ يظهر للناس بكل تأكيد مشهد عشاء بهي واحتفالي، أقول بيني وبين نفسي: سعادة اللون الأحمر، وأريد أن أكتب الكلمة – س – ع – ا – د – ة – ا – ل – ل – و – ن – ا – ل – أ – ح – م – ر – ولكن يداي كانتا أشجاراً تسقط ورقاً خريفياً، جذوع شجرة الأكاسيا التي يمكن رؤيتها من نافذة المطبخ أصبحت شبه عارية من الأوراق، واحدى يدي تهتز بلون أحمر مائل للزرقة، عنب أزرق، توت أزرق، كل بحار العالم – أنا ملك الكلمات المتقاطعة كلها – وأحاول أن أقف، أن أستند على المنضدة، تدفعني أمي للجلوس فوق المقعد – غ – ش – ي – م – هل يجب أن أذهب الآن ايضاً لأحضر ضمادة؟ ليس لدي وقت لمداواتك، أتسمع؟ لابد أن أخرج مرة أخرى! فلتكن أكثر انتباهاً، أتسمع؟
انتظري هنا، أقول لأمي عندما أخذت تسد اندفاع الدم وتلصق الضمادة، أنت تطبخين الآن! نعم، نعم، أطبخ، لقد نسيت شيئاً، هل سمعت؟ سأعود سريعاً وأحضر معي بعض الجزر من الحديقة، ترفع أمي راسها لتنظر لنفسها في المرأة، تشد البكرات من شعرها، بنفس السرعة التي تطعم بها الدجاج، والتي تضخ بها الماء من البئر، هل يمكن أن تسدي لي معروفاً وتنتبه لبكرات شعري؟
نعم يا أمي
أمي التي تدهن شفتيها بلون أحمر زيتي "أرسم فماً لنفسي! لالالالالاي" تدندن أمي – متى تعودين؟ وأمي تنظر لي، بعينين - تضحكان، بخصلات - شعر، بشفاه - حمراوين، بمجرد ما أحصل على كل شيء، تقول أمي، وسرعان ما تذهب، تصفق الباب وراءها بقوة وتدوس على

البدال، بسرعة، بسرعة، كأن عليها أن تلحق نفسها بنفسها، وأنا، أنا في الحديقة أقطف أوراق النبات الخضراء، أخرج حفنة من الجزر من نومها العميق، أضع الحساء فوق النار، كل هذا في إيقاع زولي الخامل الغبي!

عندما عاد بابا إلى البيت، تهاوي جالساً فوق مقعد أمي الكبير، نام حتى تم اعداد الحساء وبدأنا ننحني فوق أطباقنا، بابا وأنا، شعر بابا الخشن وسط البخار، الأطباق - الملاعق - الخبز فوق المنضدة، لا، لم يسأل أبي عن أمي، لا، بالتأكيد لم يحدث أن سأل أبي عن أمي إلا نادراً، وغرس اسنانه في غطاء زجاجة البيرة، أخذت تفاحة أدم تتقافز في رقبته إلى أن نام في المقعد الكبير، وأنا جلست فوق عرشي، تاجي كان ضوء المطبخ الأصفر المضاء فوقي، أوه نعم، وضعت الحروف في مكانها في الخانات البيضاء، احتفلت برسم الحروف في الفراغات في كراستي

قصة القديسين

- أ – س – ط – و – ر – ة –

انسان ناضج ذكر

- ر- ج – ل -

متكرر

- ف – ي – ك – ث – ي – ر – م – ن - - ا – ل أ – ح – ي – ا – ن –

جامح

- ب – س – ر – ع – ة -

وبعد منتصف الليل بقليل، كان علي أن أبدل ملابسي، ملابس العمل معلقة فوق الشماعة في المطبخ، وكالعادة ربتُ على وجنة ابي، همهم بصوت غير مفهوم، لف ذراعه حولي، ومشينا نتأرجح من المطبخ وحتى حجرة النوم، تذمر بصوت خافت عندما بدأت أخلع الجوارب عن قدميه واغطيه، لابد أن أذهب إلى عملي!
شعر أبي الخشن فوق الوسادة!
بطن أبي الضخمة تحت الغطاء
في الصباح، سيتغير كل شيء، قلت لأبي، هل سمعتني؟ في الصباح، سيكون كل شيء بالتأكيد أفضل، وأنت تعرف إنك لابد أن تعود بي إلى البيت، سأنتظرك، كالعادة، هل سمعتني؟

نعم، أخذت الحياة تقطر من فم أبي المفتوح، رأيت ذلك بكل وضوح، وتمنيت له حياة مثل حياة الأحجار، طبعاً، فكل حجر حتى الأحجار الصغيرة نغسلها وندفئها، وكل ما يمكن تدفئته هو شيء ثمين، لكنكم تعرفون ذلك بالفعل أكثر مني، أليس كذلك؟
وتمنيت السعادة لأبي، لأن السعادة هي كوة نخرج منها راسنا في يوم دافئ، أليس كذلك؟

© 2018 Litrix.de